السنة الثامنة والعِشرون

وفيها فُتِحت قُبرس على يد معاوية بن أبي سفيان في قولِ الواقدي، وقال أبو معشر: كان ذلك في سنة سبعٍ وعشرين.

وقال الواقدي: كان عمر قد منع المسلمين من الغَزْوِ في البحرِ شفقةً عليهم، واستأذنه معاويةُ في ذلك فلم يأذن له، فلما وَلِيَ عثمانُ استأذنه فأذِنَ له وقال: لا تُكْرِه أحداً، مَن غزا طائعاً فاحمِلْه، ولا تُكرِه أحداً، فسار في جماعةٍ من الصحابةِ منهم: أبو ذَرّ وعُبادة بن الصامت، ومعه زوجته أُمُّ حَرام بنت مِلْحان، خالةُ أنس بن مالك، أُخت أُمِّ سُلَيم، وشدَّاد بن أوسٍ وأبو الدرداءِ في آخرين.

وهو أوَّل من غزا الجزائِرَ في البحرِ، وقيل: كان ذلك في سنة ستٍّ وثلاثين، يعني غزاة الصحابة معه.

وقال الواقدي: صالحه أهلُها على مالٍ، والأصحُّ أنَّها فُتِحت عَنْوةً.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن[1] جبير بن نُفَير قال: لمّا افتتح المسلمون قُبرس فرَّقوا بين أهلِها، فجعل بعضُهم يَبكي إلى بعضٍ، فبكى أبو الدرداءِ، فقلتُ له: ما يُبكيكَ في يومٍ أعزَّ اللهُ فيه الإسلامَ، وأذلَّ الشِّركَ وأهله؟ فقال: دَعْنا منك يا جُبَيْرُ، ما أهونَ الخَلْقَ على الله إذا تركوا أمره! بينما هي أُمَّةٌ قادِرةٌ قاهرة، تركوا أمر الله، فصاروا إلى ما ترى، وفي روايةٍ: فسلَّط الله عليهم السَّبْيَ، وإذا سُلِّطَ على قومٍ فليس له فيهم حاجَةٌ[2].

وفيها التقى عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح بمعاوية على قُبرس.

فصل: وفيها تزوَّج عثمان بن عفان نائلة بنت الفَرافِصة.

واختلفت الروايةُ في سبب تَزويج عثمان نائلة، فقال هشام: كان الفَرافصةُ يسكنُ السَّماوَةَ ـ سَماوَةَ كَلْبٍ ـ وكان نصرانياً وابنتُه نصرانيّة، وكانت بارِعةَ الجَمالِ، فبلغ

(١) من قوله: وهو أول من غزا الجزائر... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٢) المنتظم ٤/ ٣٦٤، وأخرجه الطبري ٤/ ٢٦٢.

عثمانَ فخطبها، فحُمِلت إليه، فتَحَنّفت قبل أن يَدخُلَ بها.

وقيل: إنَّ عثمان استعمل الوليد بنَ عُقبة على صَدَقاتِ كَلبٍ فزوَّجه نائلة.

وروى الهيثم بن عَدي أن سعيد بن العاص تزوَّج هند ابنةَ الفَرافِصةَ، وبلغ عثمان، فكتب إليه: زَوِّجني أُخْتَها نائلة فقد بلغني جَمالُها، فزوَّجه إيّاها، وبعث بها إليه.

وفي روايةٍ أُخرى قالوا: لمّا جهَّزَ الفَرافِصَةُ ابنتَه من السَّماوةِ بعث معها أخاها ضَبّاً، وكان مُسلماً، وهو الذي زوَّجها من عثمان، وكان أبوها على دِينه، أوصاها وقال: يا بُنَيَّةُ، إنَّكِ تَقْدُمينَ على نساءِ قريشٍ، وهُنَّ أقْدَرُ على الطّيبِ منكِ، فعليك بالماءِ والكُحْلِ.

قال هشام: وكانت نَصرانيةً، وقال ابن عساكر في تاريخه: إنما أسلمتْ على يد عثمان، فلما فارقَتْ أهلَها استَوحَشَتْ وجَزِعت لفراقِ أهلها وبلادِها، فقالت تُخاطبُ أخاها: [من الطويل]

ألستَ ترى باللهِ يا ضَبُّ أنَّني ... مُصاحبةٌ نحو المدينةِ أَركُبا
أما كان في فِتيانِ حِصْنِ بن ضَمْضَم ... لك الويلُ ما يُغني الخِباءَ المُحَجَّبا
قضى الله إلّا أن تموتي غريبةً ... بيَثْربَ لا تَلْقَيْنَ أُمّاً ولا أبا

وكتب الوليدُ إلى عثمان يُخْبِرُه، فلما قَدِمَت عليه قام عثمان فصلّى ركعتين ثم قال: يا هذه، أتَأتينا أم نَأتيك؟ فقالت: قد تَجَشَّمْنا إليكَ المسيرَ من السماوة، وهي أبعدُ ممّا بيننا من مسافةِ البيتِ، وقامت فجلست إليه فقال لها: لعلَّكِ تَرَيْنَ شَيْباً وتعلّياً في السِّنِّ، وإنَّ وراء ذلك بقيَّةً من عُلالةٍ من الشبابِ. فقالت: إنَّ أحبَّ الخُلطاء إليَّ من ذهبت عنه مَيْعَةُ الشبابِ، واجتمع حِلْمُهُ، ووَثق رَأْيُهُ، فكان عثمانُ يقول: ما رأيتُ أعقَلَ منها.

وفي روايةٍ أنَّ الوليد بنَ عُقبة قَدِمَ على عثمان فقال: قد زوَّجتُك نائلةَ، فقال له عثمان: زوَّجتَني نَصرانيةً؟ فقال: إذا دخلتْ عليك أسلمتْ، فلما قَدِمَتْ عليه وضع عِمامتَه، فبدا الصَّلَعُ فقال: لا يهولنَّكِ ما تَرَيْنَ من صَلَعي؛ فإنَّ وراءَه ما تُحبِّين، وقال: إمّا أن تَقومي إليَّ أو أقومَ إليك.

وفي روايةِ ابن الكلبي أن امرأةَ عبد الرحمن بن عوف قالت لعثمان: هل لكَ في

بِكْرٍ جميلةٍ، ممتلئةِ الخَلْقِ، أسيلةِ الخَدِّ، أصيلةِ الرأي؟ قال: نعم، فذكرتْ له نائلةَ، فتزوَّجها، فلما قَدِمت عليه وَضع القَلَنْسوة عن رأسهِ، فبدا الصَّلَعُ فقال: لا يهولنَّكِ ما تَرَيْنَ من صَلَعي؛ فإنَّ وراءه ما تُحبّين، فقالت: إني امرأةٌ من نسوةٍ أحبُّ أزواجِهنَّ إليهن الصُّلْع الكهول. فقال: قد جاوزتُ حدَّ الكهول، وأنا شيخٌ، فقالت: أذهبت شبابَكَ مع رسولِ الله في خير ما ذَهَبَتْ فيه الأعمارُ، فقال: إمَّا تتحولين إليَّ أو أتحوَّل إليك، فقالت: ما قطعتُ من عرضِ السَّماوة ـ أو جَنباتِ السماوةِ ـ أبعدُ مما بيننا، ثم قامت فتحولَّت إليه، فقال: انزعي دِرعَك، فألقَتْه، قال: وخمارِكِ، فطرحتْه، قال: وإزارَكِ، قالت: ذاكَ إليكَ، فحلَّه فكانت أحظى نسائهِ عنده.

وقال هشام: أقامت عند عثمان حتى قُتِل، وهي التي أرسلت بقميصِ عثمان وأصابِعها الخمسِ إلى مُعاوية، فعلَّقه على مِنْبر دمشق سنةً، وخطبها مُعاويةُ فقالت: واللهِ لا قعَدَ موضعَ عثمانَ مني أحدٌ.

ودعت يوماً بمرآةٍ فنظرت فيها، وكانت من أحسنِ الناس ثَغراً، فأخَذَت فِهْراً فدقَّت به أسنانَها، فهَتَمتْ ثناياها، فسال الدَّمُ على صَدْرِها، فبكين جواريها وقُلنَ لها: ما صَنَعْتِ بنفسكِ؟ فقالت: إنَّ الحُزْن يَبلى كما يَبلى الثّوبُ، وإني خِفْتُ أن يَبلى حُزْني على عثمان فأتزوَّج غيره، فيطَّلعَ مني رجلٌ على ما اطَّلعَ عليه عثمان، ووالله لا يَجتلي ثغري أحدٌ بعد عثمان[1]. وسنذكرها في زوجاتِ عثمان بن عفان رضي الله عنه.

فصل وفيها توفيت

أُمُّ حَرام بنت مِلْحان بن خالد بن زيد

وذكرها ابنُ سُمَيعٍ في الطبقةِ الأولى من الصحابياتِ.

وقد ذكرنا أن النبي ﷺ كان يزورُها ويَقيلُ في بيتِها، وأنَّها أسلمتْ وبايعتْ رسولَ الله ﷺ، وكانت صالحةً، وتزوَّجها عبادةُ بن الصامت.

واختلفوا في وفاتِها:

---

(١) انظر ترجمتها في تاريخ المدينة ٩٨١ـ٩٨٢ ، وأنساب الأشراف ٥/ ١٠١ـ١٠٣ ، والأغاني ١٦/ ٣٢٢ ، والمنتظم ٤/ ٣٦٥ـ٣٦٧ ، وتاريخ دمشق (تراجم النساء) ٤٠٤ـ٤٠٩ .

قال أحمد بإسناده عن أنسِ بن مالك عن أُمِّ حَرام أنها[١] قالت: بينما رسولُ الله ﷺ قائلاً في بيتي، إذا استيقظ وهو يضحكُ، فقلتُ: بأبي أنت وأُمّي، ما يُضْحِكَكَ؟ فقال: «عُرِضَ عليَّ ناسٌ من أُمتي يركبون ظهرَ هذا البحرِ كالملوكِ على الأَسِرَّة»، فقلتُ: ادعُ الله أن يَجعلني منهم، فقال: «اللهمَّ اجعلها منهم»، ثم نام أيضاً واستيقظ وهو يضحك، فقلتُ: بأبي أنت وأُمي، ما يُضحكك؟ فقال: «عُرِضَ عليَّ ناسٌ من أُمَّتي يركبون هذا البحرَ، كالملوكِ على الأسِرَّة»، فقلتُ: ادعُ الله أن يَجعلني منهم، قال: «أنتِ من الأَوَّلين»، فغزتْ مع عُبادةَ بنِ الصامتِ، وكان زوجَها، فوَقَصَتْها بغلةٌ لها شَهباءُ، فوقعت فماتت، ذكره[٢] جَدّي في «جامع المسانيد» وقال: أخرجاه في «الصحيحين»[٣].

وذكره ابنُ عساكر وقال: أخرجه مسلم وفيه: يركبون البحر الأخْضَرَ، قال: فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامتِ أوَّلَ ما ركبَ المسلمون البحر مع معاوية بن أبي سفيان، فلما انصرفوا قافلين من غَزاتهم قَدِموا الشام، فقُدِّمتْ إليها دابَّتُها لتَركَبها؛ فصَرعتْها فماتت[٤].

ومعنى قولِه عليه السلام: أنتِ من الأوَّلين، أي: لا تركَبين البحر ثانياً، ولم يُذْكَر في هذه الرواياتِ مكانُ وفاتِها، وقال أبو نعيم: هو مكان يقال له: قاقيس.

قال أبو نعيم بإسناده عن خالد بن مَعْدان، عن عُمير بن الأسود العَنْسي أنَّه حدَّثه، أنه أتى عُبادة بنَ الصامتِ وهو بساحلِ حمص، وهو في بناءٍ له، ومعه امرأتُه أُمُّ حَرامٍ، قال عمير: فحدَّثتْنا أُمُّ حَرامٍ أنَّها سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «أوَّل جيشٍ من أُمتي يَغزون البحر قد أوجبوا»، قالت أُمُّ حَرام: يا رسولَ الله، أنا منهم؟ قال: «أنتِ منهم». قال هشام بن عمار راوي الحديث: فأنا رأيتُ قبرها، ووقفتُ عليه بالساحلِ بقاقيس، وذكر أبو نُعيم أن قبرها بقُبرس، فقال أبو نُعيمٍ بإسناده عن هشام بن الغاز قال: قبرُ أُمِّ

(١) من قوله: وقد ذكرنا... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).
(٢) من هنا إلى نهاية ترجمة أم حرام ليس في (خ) و(ع).
(٣) مسند أحمد (٢٧٠٣٢)، وصحيح البخاري (٢٧٩٩ـ٢٨٠٠)، وصحيح مسلم (١٩١٢).
(٤) تاريخ دمشق (تراجم النساء) ٤٨٧ ، وصحيح مسلم (١٩١٢) (١٦٢).

حَرام بنت مِلحان بقُبرس، وهم يقولون: هذا قبرُ المرأةِ الصالحةِ[١].

وكذا قال ابن مَنْدَه وأبو سليمان بن زَبْرٍ، حكى عنهما ذلك ابنُ عساكر، وكان أميرهم معاوية بن أبي سفيان.

وقال ابن سُمَيْعٍ: قبرُها برُودِس، مكانٌ بالساحلِ، قال: غزت مع زَوْجِها عُبادة بن الصّامتِ، وكان معهم أبو ذر وأبو الدّرداءِ، فسقطت من دابّتها فماتت ودُفنت بالساحل[٢]. والله أعلم.

(١) حلية الأولياء ٢/ ٦٢ .

(٢) تاريخ دمشق ٤٩٤ ، ٤٩٦ . وانظر في ترجمتها طبقات ابن سعد ١٠/ ٤٠٤ ، والاستيعاب (٣٥٠٠)، والاستبصار ٤٠ ، والإصابة ٤/ ٤٤١ ، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣١٦ وفيه مصادر أخرى.

obeikandl.com